الاهمية عن تنافر وتعارض الصهيونية مع القيم العالمية لليهودية : « ان ما عانته بعض جماهير العالم غير اليهودي ، وما رزحت فيه وثارت عليه من وهن وجور واستغلال ، لم يعانه هو بل تهرب منه كليا . انه لم يكن قادرا على ، ولا راغبا في ان يرى تطور التاريخ ، ولا أن يكافح من اجل اعتاق العالم كله ، والاخاء الانساني الذي كان يتقوى ويتدعم بالتأكيد ، وان كان مصحوبا بألم عظيم »(٢).

لقد اقتنع هرتزل بان جميع اليهود ، وحيثما كانت مواطنهم ، كانوا هدفا للاضطهاد من جانب غير اليهود ، ومن اجل هذا الوضع سك عبارته المشئومة « المسألة اليهودية » ، وتصور حل هذه « المسألة » باقامة دولة يهودية يجمع فيها اليهود من أربع رياح الارض . وهذه الفكرة كانت مصدر وحي المندوبين الذين اجتمعوا في مؤتمر بال ، لكن هؤلاء — كما هرتزل من قبلهم — فاتهم استيعاب الرؤيا الشاملة للامور ، وهكذا اطلقت الصهيونية في مجرى عنصري زادت في قوته التطورات واحداث العقود التالية .

ومن الامور الواردة والمسجلة « ان شخصين اشتراكيين حضرا المؤتمر الصهيوني الثاني »(٣). وهذه بينة ساطعة على ان الاشتراكية لم تكن سوى جزء ضئيل الاهمية في الصهيونية . على ان الثورة الصناعية كانت في سبيلها الى النمو في اوروبا الشرقية ، وخلقت طبقة عاملة يهودية أضيفت الى اصحاب الدكاكين والحرفيين المستقلين والنزر اليسير من أصحاب المهن ، الذين كانوا يشكلون الاغلبية السكانية بين اليهود . وفيما شرع هؤلاء العمال بتنظيم صفوفهم ، عاجلتهم الصهيونية ، فغمرتهم بتأثيرها ، وسيطرت على منظماتهم .

يبدو ان اسم « بوعالي زيون » ظهر لاول مرة في مينسك في عام ١٨٩٧ ، ويعني « عمال صهيون». وفي عام ١٩٠٥ تأسست منظمة « عمال صهيون » كحزب قام بايفاد سبعة واربعين مندوبا عنه في العام التالي الى المؤتمر الصهيوني السادس . وفي عام ١٩٠٧ ظهر الاتحاد العالمي لعمال صهيون ، الذي اعلن في عام ١٩٠٩ برنامجا رسميا دعا الى القضاء على الرأسمالية ، والى اخضاع وسائل الانتاج للملكية الاشتراكية ، والى « الحل الاقليمي للمسألة اليهودية ، وذلك بالاستيطان الجماعي في فلسطين »(٤). وتقدم الاتحاد العالمي لعمال صهيون بثلاثة طلبات للانتساب الى الدولية الاشتراكية في المرحلة السابقة على العام ١٩١٤ ، في الاعوام ١٩٠٧ و ١٩٠٨ و ١٩١١ ، وجميع هذه الطلبات رفضت ، ولقد وصف رواد الدولية الاشتراكية ، الصهيونية ، بانها وليدة القومية وليست وليدة الاشتراكية .

وتكون الهستدروت ، الاتحاد العام للنقابات اليهودية ، في فلسطين في عام ١٩٢٠ . وكان الهستدروت منظمة فريدة ، واكثر بكثير من كونه قيادة لنقابات متحدة — كان منظمة سينديكالية ، سياسية ، عسكرية ، وقبل كل شيء صهيونية ، مكرسة لاحلال العمال اليهود المهاجرين محل العمال العرب . وأصبح الهستدروت في ظل زعامة ديفيد بن جوريون ذا تأثير قوي في الحركة الصهيونية منذ الثلاثينات ، وكذلك حين أصبح بن جوريون أول رئيس وزراء لاسرائيل . امتد نفوذ الهستدروت في كل النواحي ، ولعب بن جوريون دورا رئيسيا في ترتيب العلاقة الدولية الفوقية القائمة حاليا بين دولة اسرائيل وبين الحركة الصهيونية العالمية . هذه العلاقة تؤدي وظيفة مزدوجة ، فهي من ناحية تمنح المواطنة الاسرائيلية لجميع اليهود بصرف النظر عن اوطانهم وجنسياتهم ، ومن ناحية ثانية توفر لاسرائيل منظمة قوية ذات مدى عالمي واسع تضع نفسها في خدمة مصالحها .

التسلل الى حزب العمال البريطاني

كان المجتمع اليهودي في بريطانيا ، مع اطلالة القرن العشرين ، منقسما طبقيا بالحدة نفسها التي انقسم بها بقية ابناء بريطانيا . فمن ناحية كانت هناك أقلية صغيرة من الاسر الثرية ، كانت جزءا لا يتجزأ من المؤسسة الحاكمة . ومن الجهة الاخرى كانت هناك تجمعات بأحجام مهمة في لندن وبقية المدن ، تتكون في الغالب من المهاجرين أو من أبناء واحفاد المهاجرين الذين غادروا بلاد — الجيتو ولجأوا الى بريطانيا سعيا وراء مجتمع أكثر حرية . وكان هؤلاء يشعرون بنسب ضعيف يربطهم باليهود من ابناء الطبقة الحاكمة . وكان ارتباطهم الاوثق مع بقية ابناء الطبقة البريطانية العاملة ، واظهروا درجة قوية من المساندة لحزب العمال الوليد . وكانوا يمثلون بالنسبة لنشطاء « عمال